المحاضرة(٣٠) وفاة النبي الاعظم محمّد (صلّى الله عليه وآله وصحبه الطاهرين):-

ظراً لتهديدات الروم المستمرة لشمال الدولة الاسلامية ، وتحالفاتهم السابقة مع مشركي قريش للكيد بها ، فقد كانت أولى مهام رسول الله(ص) بعد عودته من حجة الوداع ان يغزو بلاد الروم ، فبدأ بتجهيز جيشاً كبيراً لغزوهم ، فضم اليه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وعيَّن لقيادته الصحابي الشاب(أسامة بن زيد بن حارثة) قائلا له:(اغدُ على بركة الله)[1] وبعد يوم من إعداد الجيش ، مَرض النبي(ص) بصداع شديد تركه طريحُ الفراش حتى قضى فيه ، وقد علم أنّ هناك من أصحابه قد تخلّف عن الجيش ، والبعض من يعرقل ، والبعض الآخر من يطعن في قيادة أسامة ،فغضب لذلك بشدّة وخرج مُعصّباً جبهته إلى مسجده ، يحذرهم من عواقب أعمالهم ، وخاطبهم بقوله:(لئن طعنتم في إمارتي لأسامة ،فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيمُ الله كان للإمارة خليقاً ، وأنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإنَّه كان لمن أحبّ الناس إليّ ، واستوصُوا به خيراً فإنّه من خياركم)[2] ونظراً لأهمية هذا الجيش الذي أستعد فيه أسامة وآخرون من المهاجرين والأنصار للسير نحو الجرف ،ظلّ النبي طوال الأربعة عشر يوماً من مرضه يقول وهو في الفراش:(جهّزوا جيش أسامة ، لَعَنَ الله من تخلّف عنه) [3] إلاَّ أن البعض ظل يتعلل ويماطل بحجج واهية عاصين أوامره ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمراً أنْ يكون لهُمُ الخيرةُ من أمرهم ومن يعص الله ورسولَه فقد ضل ضلالاً مُبيناً)) [4] ولما انتشر بينهم خبرُ تدهور صحّة النبي ومن ثم احتضاره (ص)[5] والذي راج بين المسلمين ممّا جعلهم يعدلون عن قصدهم حتى يوم الإثنين ، و جعلهم يعودون إلى المدينة المنوّرة مُتناسين أوامرَ الرسول(ص) . وقد ذكر المؤرخون أنّ النبي خرج في تلك الليلة التي توفي في صبيحتها ، مع عدد من اصحابه إلى مُقبرة البقيع ،فقال لهم:(إني أُمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع) وعندما وصل الى المكان سلّم على أهل القبور؛ قائلاً:

(السلام عليكم أهل القبور ، ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً ، يتبع آخرها أولها ، ثم ألتفت الى عليٍّ قائلا: (ياعلي ، إنّي خُيّرتُ بين خزائن الدنيا

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى :٢/١٩٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢/١٩٠ ، ينظر: البخاري ،صحيح البخاري ، تحقيق قاسم الرفاعي ، بيروت ، دار القلم ١٤٠٧ هـ :٦/١٣٦٦المغازي باب ٢٠٣ ح٩ ، للمزيد ينظر : ابن حبان ؛ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ط ٢/ بيروت – ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م :ص ٧٠٥٩ – شرح الحديث رقم ٤٧٩٠ ، للمزيد ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التاريخ:٢/٢١٩ ، للمزيد ينظر: النووي ؛ ابو زكرياء محي الدين يحيي بن شرف (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م) صحيح مسلم بشرح الامام النووي ، قم دار الفكر ١٤٠١هـ :١٥/١٩٥فضائل الصحابة ، للمزيد ينظر : الذهبي ؛ أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ط ٣/ بيروت – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م : ج١ ح ٢٢٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :٢/١٩٠ ، ينظر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل :١/٢٣ قم منشورات الشريف الرضي ؛ نقل الشهرستاني لعن رسول الله لهذه الجماعة المتخلفة مرسلاً (الحديث الذي ينقل عن الرسول بدون الصحابي وانما ينقله التابعي) ولكن استناداً الى ماقاله أبن أبي الحديد فان أبابكربن عبد العزيز الجوهري نقل في كتاب السقيفة هذا اللعن مسنداً عن عبد الله بن عبد الرحمن بأن رسول الله (ص) قال عدة مرات : لعنوا بعث أسامة؛ لعن من تخلف عنه : شرح نهج البلاغة :٦/٥٢.

(٤)سورة الأحزاب (٣٣): آلآية ٣٦ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،النجف الاشرف المكتبة الحيدرية - ١٣٨٤هـ هـ :٢/١٧٨،

والخلود فيها أو الجنة ، فاخترتُ لقاءَ ربّي والجنّة . إنّ جبرائيل كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة ، وقد عرضه عليّ هذا العام مرّتين ، ولا أراه إلا لحضور أجلي) [1] وفي آخر ساعاته خاطب أصحابه قائلاً(ص) : (ائتوني بدواة وكف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً) فأجابه الرجل : (إن النبي ليهجُر قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن وحسبنا كتاب الله)، فكثر اللغط بينهم حول الاتيان بالدواة والكتف لم لا ؟ فغمّ رسول الله ـ لما سمعه من أصحابه ـ فقال: (قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع)[2] فمُنع النبي(صلى الله عليه وآله) أن يكتب عند مماته كتاباً ، وقيل :إنَّ الرجل ليهجر أو إن النبي غلبه الوجع[3] ثم أغمي عليه ، فلمّا أفاق(ص) قال لاصحابه:ألا ناتيك بدواة وكتف؟ فرفض الرسول(ص) فقال : (أبعد الذي قُلتم ؟ ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيراً واستوصوا بأهل الذمة خيرا)[4] ، وقد صوّر ابن عبّاس رفض الصحابة للدواة والكتف قائلاً: الرزية كلَّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله [5] . وفي هذه الفترة العصيبة ، كانت السيدة فاطمة الزهراء(ع) تلازم فراش والدها(ص) لا تفارقه لحظة ، وفجأة طلب منها أن تقرب رأسها إلى فمه ليحدّثها ، فراح يكلّمها بصوت خفيفٍ لم يُعرَف ، فعندها بكتْ الزهرآء بُكاءاً شديداً ، ثم أشار النبي(ص) اليها مرَّة أخرى فحدَّثها بشئ آخر ، ففرحت به وتبسَّمت مستبشرة ولم تكشف ذلك السرْ إلاّ بعد وفاة أبيها النبي(ص) وبناءً على إصرار السيدة عائشة (رض) فأجابتها فاطمة قائلة:(أخبرني رسول الله أنّه قد حضر أجلُه وأنّه يُقبَض في وجعه فبكيت ، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت) [6] ، وأخيراً طلبَ عليّاً، قائلاً: (أدن مني ،فدنا منه ، فاستند إليه فلم يزل يكلمه) حتى فاضت روحه الطاهرة في حجره [7] . وكانت وفاته يوم الأثنين للثامن والعشرين من شهر صفر للسنة الهجرية الحادية عشر [8] بعد أن قضى أربعة عشر يوماً من المرض ، ودفن في حجرته التي بناها الى جوار مسجده الشريف [9] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :٢٠٤/٢. ينظر : المجلسي ، بحار الانوار :٤٦٦/٢٢ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري : ح ١١٢ –كتاب العلم – باب كتابه العلم ، ينظر : المجلسي ، بحار الانوار : ٣٠/ ٥٣١ .

(٣) يوجد بألفاظ مختلفة في : أولاً – صحيح البخاري ٣٢/١ كتاب العلم / باب كتابة العلم و ٤ / ٧ كتاب المرضى / باب قول المريض قوموا عني و ٢٧١/٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب كراهية الخلاف و ١٧٨/٢ كتاب الجهاد والسير / باب هل يستشفع إلى أهل الذمة و ٦٢/٤ باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب. ثانياً – ينظر: مسلم ، صحيح مسلم ١٢٥٩/٣ كتاب الوصية / باب ترك الوصية و ١٢٥٧/٣ كتاب الوصية / باب ترك الوصية . ثالثاً - للمزيد ينظر: ابن حنبل ، مسند أحمد ٢٤/١ و ٢٢٢ و ٣٤٦/٣ .

(٤) المفيد ، الارشاد : ١٨٤/١ ، ينظر للمزيد : الطبرسي اعلام الورى بأعلام الهدى : ١/ ٢٦٦-٢٦٧ ، للمزيد ينظر : المجلسي ، بحار الانوار :٤٦٩/٢٢ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :٢٤٤/٢ ، ينظر : ابن حنبل ، مسند أبن حنبل ١/ ٣٢٥ ، للمزيد ينظر: البخاري ، صحيح البخاري :٢٢/١ كتاب العلم ، للمزيد ينظر : مسلم ، صحيح مسلم :١٤/٣ ، للمزيد ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل :٢٢/١ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٦٣/٢ ، ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٢١٩/٢ .

(٧) ابن حنبل ، مسند احمد :٣٠٠/٢ ، ينظر : الكنجي ؛ ابي عبد الله محمد بن يوسف القرشي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) كفاية الطالب في مناقب علي ابن ابيطالب (ع) ، دار احياء تراث اهل البيت (ع) طهران – ١٤٠٤ هـ : ١٣٣ ـ مناقب الخوارزمي عن السيدة عائشة ، للمزيد ينظر : محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار الكتب المصرية - ١٣٥٦هـ : ٧٣

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :٢٧٢/٣، ينظر : ابن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية :٤٧٣/٣، للمزيد ينظر :المجلسي ، بحار الانوار :٥١٤/٢٢.

(٩) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي :١٧٨/٢.